خريجو الطب والهندسة والاعلام على الرصيف

زلزال البطالة يضرب كليات القمة

الصراع على كليات القمة.. ماراثون طويل يقطعه آلاف الطلاب الحاصلين على الثانوية العامة للالتحاق بالطب والهندسة والاعلام والاقتصاد والعلوم السياسية رغم البطالة الفادحة التى يعانى منها خريجو هذه الكليات وبعد ما فقدت هذه الكليات مساحة كبيرة من فرص العمل، لارتفاع اعداد خريجيها التى لم يعد السوق يتحملها.

لكن الوجاهة الاجتماعية مازالت هوس الآباء وهوى الابناء نحو الالتحاق بهذه الكليات للفوز بشرف لقب طبيب او مهندس.

تحقيق:
عيد حسن

اكد الخبراء ان طرق التوظيف اصبحت شبه مغلقة امام خريجى كليات القمة سواء داخل مصر او خارجها بعدما فقد الخريجون المهارات اللازمة لاعدادهم لسوق العمل، رغم الآلاف من الجنيهات التى تكبدتها الاسرة فى سبيل اعداد ابنائها لهذه الكليات ونفقات الدراسة فيها. والنتيجة اضطرار الخريجين الى الالتحاق بوظائف متدنية فى التجارة او شركات النظافة او العمل فى الفنادق بما لا يناسب ما تعلمه فى هذه الكليات التى اسقطت اعتبارات سوق العمل بعدما اصبحت فرصة العمل تخضع لاعتبارات اخرى تحكمها الوساطة والمجاملة بما يتطلب من الدولة وضع الحقائق امام خريجيها وامام الراى العام لانه ربما يكون خريج كلية ليست من القمة باسعد حالا من كليات القمة التى اصبح خريجوها يسيرون فى طريق مظلم هو البطالة. سباق كليات القمة مأزق الاباء وحيرة الابناء ومستقبل مجهول.. فلم تعد تحتفظ القمة بمردود ملموس فى الواقع العملى، واصبح كثير من خريجيها يقعون فريسة للبطالة التى تحاصرهم من كل صوب كما يقول الدكتور محمود عبدالحليم منسى -استاذ علم النفس التعليمى بآداب الاسكندرية- مشيرا الى ان هناك خللا يضرب نظام القبول بالجامعات لان حصول الابناء على درجات عالية يجعل هؤلاء الطلاب واباءهم يجدون خسارة فى عدم اللحاق بأى كلية اخرى حددها مكتب التنسيق الا كليات القمة رغم ان الكلية التى قد يلتحق بها الطالب غير كليات القمة قد تكون اجدى له فى الواقع العملى، لكن تصنيف الكليات الى درجات اشبه بالاولى والثانية، والثالثة تترك رواسب اجتماعية فى نفوس الاباء والابناء الذين قد يتم دفعهم الى كليات تحت شعار القمة، وقد لا يكونون راغبين فى الالتحاق بها الا لمسايرة رغبة الاباء، فهم الذين تكفلوا بالانفاق ولابد من دخول كلية يفخرون بالتحاق ابنائهم بها.. وهذه ظاهرة خطيرة كما يصفها د.محمود منسى، لان هذه الدرجات نوع من التفوق الوهمى او تضخم فى الدرجات لا يعبر عن نظام تعليمى حقيقى وربما لا نجد له مثيلا فى كثير من دول العالم، الا فى مصر. ويرى د.منسى ان نظام اسئلة القدرات والتى تحتاج الى مزيد من التفكير غالبا ما تواجه بمزيد من الرفض والاحتجاج والمطالبة بمحاسبة المسئول الذى وضع هذا السؤال، والنتيجة تشديد الوزير على تجنب الاسئلة غير المعتادة، التى يطلق عليها «الغاز».. وهو ما يفسر حصول اغلبية الطلبة على درجات تتجاوز الحدود المتعارف عليها والتى تتجاوز ١٠٠٪ وهو ما يعد اهدارا لقيمة النجاح والتقييم وعدم قياس اداء الطالب بطريقة سليمة كمعيار للتفوق، فيهرع هؤلاء الى كليات القمة ويتكشف ما كان مستورا، اذ لا يتعدى نجاح هؤلاء الذين يلتحقون بالطب او الهندسة والصيدلة الا ٤٪ فقط فى اعدادى طب وهندسة واولى صيدلة وتفشل النسبة الباقية فى اجتياز الامتحان لانها لم تكن مؤهلة حقيقيا لهذا المستوى العالى من الدرجات التى يتم الالتحاق من خلالها بكليات القمة.

بطالة الاطباء

ويضيف: هناك خسارة اخرى لخريجى كليات القمة تكمن فى ان اعدادا كبيرة من خريجيها لم يعد المجتمع فى حاجة اليهم فى ظل الدفعات السنوية المتكررة من الخريجين مما افقد هذه الكليات عائدها الوظيفى فى المجتمع، والدليل على ذلك ان هناك اعدادا كبيرة من الاطباء تعانى من البطالة وهناك صراع بين نقابة الاطباء والمسئولين عن القبول بالجامعات فى كليات الطب لان الاعداد التى يحتاجها المجتمع محدود فى حين يتم تخريج الآلاف كل عام فكيف يواجهون المستقبل العملى فى الوقت الذى تعد فيه مرتبات الطبيب محدودة فى بداية عمله الوظيفى، وهناك من يسعده الحظ فيحصل على فرصة عمل فى مستشفى استثمارى وهناك اخرون يعانون من البطالة ولا يحصلون الا على مبالغ يسيرة، وهذا يدفع بعض خريجى كليات القمة الى الالتحاق بوظائف اخرى متدنية قد تكون بعيدة كل البعد عن دراستهم، لان البطالة اصبحت تهدد كثيرين من الخريجين، وسوق العمل عجز عن استيعاب الخريجين.

ويشير د.منسى الى ان الزحام فى كليات القمة يعتبر عبئا على امكانيات تلك الكليات ويقلل من قدرة الطالب على التفاعل المباشر مع الاساتذة خاصة فى ظل تدنى الامكانيات، فيفقد الطالب كثيرا من المهارات والكفاءة التى يحتاجها سوق العمل، وتتراجع فرصته فى الحصول على وظيفة لان ما كان يدرسه ليس له وجود ملموس فى ارض الواقع والمشكلة ان المجلس الاعلى للجامعات يقرر هذه الزيادة على حساب جودة مستوى الخريجين.

ويضيف: تغيير هذه النظرة ليس بالنصح او الارشاد بل لابد من اعلان الحقائق امام الراى العام وان يكون الاباء والابناء على قناعة تامة باختيار الكلية التى سوف تحقق للطالب فرصة عمل خاصة فى ظل ثورة الاتصالات والمعارف والكمبيوتر والتكنولوجيا.. فغير مقبول ولا معقول ان يضيع الطالب فرصة عمره انبهارا بكليات القمة ثم يجد الواقع مريرا وتكون البطالة فى انتظاره.

عقدة

الهرولة نحو كليات القمة مازالت عقدة الآباء وهوس الابناء لكونها ترتبط بالمكانة والوجاهة الاجتماعية خاصة للطبقة الوسطى التى تعتبر التعليم الصعد الاجتماعى لها للحصول على درجات عالية تعين ابناءها على الالتحاق بكليات القمة حتى يحصل على لقب طبيب او مهندس او مترجم.. هذا ما يؤكده الدكتور عبداللطيف محمود استاذ التربية بجامعة حلوان، مشيرا الى ان هذه الهرولة نحو كليات القمة لم تعد محمودة العواقب خاصة فى ظل شبح البطالة التى تحاصر كثيرا من الخريجين خاصة كليات القمة سواء خريجى الطب او الهندسة لان فرص العمل لم تعد الجامعة وحدها هى التى تحددها من خلال طرحها للخريجين الى سوق العمل، ولكن سوق العمل تحكمه ظروف اخرى منها الوساطة والمحسوبية، وقد يكون خريج كلية ليست من كليات القمة اسعد حالا من خريج كلية القمة، وبالتالى تصبح البطالة فى انتظار هؤلاء لان العرض فى سوق العمل اكبر من الطلب فاصبح البعض يقبل على وظائف لم يكن معدا لها كالعمل فى الفنادق والاعمال الحرة والكافتيريا وغيرها مما يهدد قيمة الجهد والتكاليف التى قطعها الطالب فى مشواره التعليمى. ويضيف د.عبداللطيف محمود: ان هذا يعبر عن خلل فى النظام التعليمى سواء قبل المرحلة الجامعية او الجامعية، حيث اصبح هدف الحصول على شهادة عليا دون الحرص على اكساب التعليم مهارات للحياة العملية. ويتساءل د.عبداللطيف: ماذا يكتسب طالب الثانوى العام ومعظم خريجى الجامعة الذين لا يعرفون شيئا عن ظروف المجتمع والخاصة والعامة، فهذا الصراع و التخبط نتيجة لمعادلة معروفة ونتغاضى عنها.. فالتعليم ضرورة فى ظل التقدم لكن للاسف الشديد التعليم اوجد نوعا من عنق الزجاجة يتمثل فيما قبل المرحلة الجامعية والثانوية العامة، او ما بعدها من خلال ايجاد اماكن محدودة فى الجامعات، فاصبح التكالب عليها يزداد سنة بعد اخرى، خاصة ان المفهوم العالمى هو جامعة لكل مليون او مليون ونصف المليون.. ومعنى ذلك اذا كان عدد السكان فى مصر يقترب من ٧٠ مليونا فاننا فى حاجة الى ٧٠ جامعة ولكن عندنا ١٣ جامعة حكومية، وجامعات خاصة غير مؤهلة لانها تهدف الى الربح.. وهكذا يظل النظام التعليمى فى متاهة والمجتمع فى متاهة اخرى وهذا يتطلب توضيح الحقائق امام الراى العام للوقوف على الحقيقة حتى لا يتحول التعليم الى نفق مظلم يسير فيه الكثيرون من طلاب القمة وتصبح النهاية مظلمة لهم فى ارض الواقع.

هوس

ويرى الدكتور مجدد عبدالباقى ابراهيم استاذ التخطيط العمرانى بكلية الهندسة بجامعة عين شمس ان هوس الالتحاق بكليات القمة من طب وهندسة والسن واعلام واقتصاد وعلوم سياسية، لم يعد مقبولا فى ظل التحولات الاقتصادية وظروف سوق العمل فى السنوات الاخيرة لان وجود عدد متزايد من الخريجين على كليات القمة فى غالب الامر لا يتناسب على الاطلاق مع القدرات والامكانيات التعليمية للجامعات فى الوقت الحالى الامر الذى يؤثر بالسلب على العملية التعليمية وعلى مستوى الخريجين، لذلك فان الامر يتطلب اعادة النظر فى عدة امور منها: مدى اهمية التعليم الجامعى مقارنة بالتعليم الفنى الصناعى والتقنى فى ظل ثورة المعلومات والثورة الصناعية وحاجة السوق لتلك النوعية من الوظائف اضافة الى مدى قدرة الجامعات واعضاء هيئة التدريس على الوفاء بالتزاماتهم لايجاد خريج متميز مطلوب حيث ان العرض والطلب لخريى الجامعة قد دخل فى دوامة سوق العمل واصبح الكثيرون من خريجى كليات الصفوة يقفون فى طابور البطالة فى حين ان خريجى كليات اخرى ليست مصنفة ككليات القمة يكون السوق فى حاجة الى خريجيها. ويؤكد د.محمد عبدالباقى على ضرورة اعادة النظر فى الزحام على كليات القمة من قبل الاباء والابناء خاصة ان الوعى متاح للجميع ولديه القدرة على كشف الحقيقة بعيدا عن التضليل حتى لا نصبح وكأننا فى ماسورة نمر بها من مراحل التعليم مرحلة تلو الاخرى حتى نندفع الى سوق العمل الذى يعانى البطالة وتتبخر الاحلام ويدب اليأس فى القلوب ونحن مازلنا فى بداية الطريق. كما لابد من تغيير المفاهيم عن كليات القمة لانها من رواسب الماضى وسقطت الاحلام الواعدة بان كليات القمة سوقها واعد. ظو على الدولة توضيح الحقائق بالارقام بان اعداد الخريجين من كليات القمة ارقامهم كذا ويعانون من البطالة حتى يكون ذلك مصباحا يهدى من يحاول الالتحاق بها لكى يغير مساره الى كلية اخرى السوق فى حاجة اليها. كما ان الدولة مطالبة بالترغيب فى الوظائف الاخرى والتى تعتمد على الكمبيوتر وثورة المعلومات والبحث العلمى والتى يحتاجها المجتمع. والاعلام له دور كبير فى توجيه الدولة نحو دعم الصناعات وان يكون هناك حلقة وصل بين رجال الصناعة ومراكز البحوث والجامعات لاحتضان كوادر الخريجين واستثمار هذه القدرات فى البحث العلمى حتى نتزكها لشبح البطالة.

ويكشف د.محمد عبدالباقى النقاب عن سرقة بعض الاسواق من العمالة المصرية فى دول الخليج ففى وقت من الاوقات كان مستوى المدرس المصرى متميزا اما الآن فقد تغيرت النظرة واصبحت هذه الدول تستعين بجنسيات اخرى كذلك فى سوق الطب لاننا انشغلنا بالزحام الكبير على الكليات وخاصة القمة ولم نؤهلهم بالمستوى المهارى المطلوب او نرعى الخريجين فى المستقبل، وهذا خطأ فادح فالدولة لابد ان ترعى المتعلم بعد التخرج والا يقف دورها عند حد التعليم فقط كما ان البحث العلمى فى مصر يفتقد الى وجود الاستشارات مثلما يحدث فى الدول المتقدمة التى تنفق نسبة كبيرة من دخلها القومى على تطوير البحث العلمى، والتعليم ولكن كثرة الاعداد فى مصر، وضعف الاداء تؤدى الى وجود اعداد كبيرة من الخريجين يفتقرون الى الكفاءة والاداء المهارى المطلوب فى سوق العمل.

أرقام

وتؤكد الدكتورة سمية عبدالمولى مدرس الاقتصاد بتجارة حلوان ان الاقبال المتزايد على كليات القمة يكشف عن خلل فى منظومة التعليم الجامعى الذى لا يأخذ فى الاعتبار نوعية التعليم ومدى تناسبها مع متطلبات سوق العمل حيث يتكبد الآلاف من الطلاب فاتورة ثقيلة من المصروفات الدراسية على مدار مراحل التعليم للفوز باحدى كليات القمة ثم يواجهون واقعا اليما لا يعبر عن احلامهم وهذا يستدعى تغيير هذه النظرة من جانب المجتمع اما الدولة فانها مطالبة باعادة هيكل التعليم ونوعية المناهج التى تحتاج الى الكثير من التحديث والتطوير لتتناسب مع متطلبات سوق العمل وما يفرضه النظام العالمى الجديد. وتضيف د.سمية ان الشواهد فى التعليم الجامعى تؤكد ان نظام التعليم يساعد على اكتساب بعض المعارف ولكنه لا يساعد بنفس القدر على تأهيل الطالب على استخدامها فى الواقع العملى، والذى يحتاج الى المزيد من التطوير ليدعم قدرات خريجيه فى التطبيقات العملية وهذا الجانب لايقل اهمية -ان لم يكن يزيد- عن جانب اكتساب المعرفة نظرا لدوره المهم فى اكساب خريج النظام التعليمى المرونة والقدرة على الابتكار لكن هذا الجانب مهمل الى حد كبير فى التعليم فمناهج التعليم يغلب عليها الانفصال عن قضايا المجتمع ومتطلبات الحياة فى عالم اليوم فهى تقدم الافكار النظرية بمعزل عن تطبيقاتها العملية ويكون هذا اوضح فى التعليم الفنى حيث تتسع الفجوة بين التدريب المتاح واحتياجات الواقع المهنى بحيث ان خريجيه لا يصلحون لممارسة العمل فى الواقع وتتفشى البطالة بينهم، رغم الصعوبة التى تعانيها المشروعات فى الحصول على العمالة الفنية الماهرة كما ان التعليم العالى يعتمد على الكتب المقررة وبدرجة متزايدة على المذكرات كمصدر للمعرفة فتكون النتيجة الطبيعية هى انخفاض نوعية الخريج بوجه عام. وتوضح د.سمية ان هناك تراجعا بين نسبة خريجى الكليات العملية فى مصر فى الفترة من ٩١-٢٠٠٠ من معدل ٢.٣٣٪ الى ١٦.٢٪ مقابل تزايد نسبة خريجى الكليات النظرية الذين تزايدوا بمعدل ١٢.٥٪ سنويا فى هذه الفترة الى حوالى ضعف معدل تزايد خريجى الكليات العملية التى تصل الى ٦.٥٪ سنويا.

د.محمود عبد الحليم:
أكثر من نصف طلبة كليات القمة يفشلون فى اجتياز السنة الأولى

مفيد شهاب

د.محمد عبدالباقى:
تزايد أعداد المقبولين فى كليات الطب والهندسة يهدد مستوى الخريجين

حسين بهاء الدين